بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٥ شَوَّالٍ ١٤٤٦هـ

عِبَادَ اللهِ: مِنَ الْقِيَمِ الْجَلِيلَةِ لِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ: رِعايَتُهُ لِلْيَتِيمِ، وَحَثُّهُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ دِينٌ وَلَا مَنْهَجٌ يَدْعُو وَيَحُثُّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْيَتِيمِ مِثْلُ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، فَلَقَدْ حَثَّ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَىٰ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَرِعَايَتِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ، وَرَتَّبَ أَعْظَمَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ لِمَنْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، فَجَعَلَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، فَكَانَ الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لِحَقِّ الْيَتِيمِ وَأَهَمِّيَّتِهِ تَنَزَّلَتِ الْآيَاتُ فِي حَقِّهِ فِي أَوَائِلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي مَكَّةَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحمَدُ وَابْنُ مَاجُهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ عَلَىٰ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: حَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَرْغَبَ فِي الْعَمَلِ بِهِ؛ لِيَكُونَ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِجَمَاعَةِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمِ أَجْمَعِينَ، وَلَا مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ مُرَافَقَةِ الْأَنْبِيَاءِ. اهـ

لَمَّا اسْتُشْهِدَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، وَتَرَكَ أَطْفَالًا أَيْتَامًا، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَاهَدُهُمْ وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ؛ شَفَقَةً بِالْيَتِيمِ وَرَحْمَةً بِهِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ دَابَّةٍ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ». قَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ، وَقَالَ لِقُثَمَ: ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ

فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ، وَكَانَ عُبَيْدُ اللهِ أَحَبَّ إِلَىٰ عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَىٰ مِنْ عَمِّهِ أَنْ حَمَلَ قُثَمَ وَتَرَكَهُ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِي ثَلَاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ». قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ: مَا فَعَلَ قُثَمُ؟ قَالَ: اسْتُشْهِدَ، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ وَرَسُولُهُ بِالْخَيْرِ، قَالَ: أَجَلْ.

عِبَادَ اللهِ: عَبْرَ التَّارِيخِ بَرَزَ أَيْتَامٌ كَانَ لَهُمْ شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْيُتْمِ وَلَمْ يَكُنْ لِفَقْدِ الْأَبِ الرَّحِيمِ الْمُشْفِقِ وَالْمُوَجِّهِ النَّاصِحِ مَانِعًا لَهُمْ مِنَ النُّبُوغِ وَالْبُرُوزِ، وَتَحْصِيلِ أَعَلَى الْمَرَاتِبِ، عُلَمَاءٌ وَأَعْلَامٌ، مِنْهُمْ قَادَةُ الْعَالَمِ وَعُظَمَائِهِ وَخُبَرَائِهِ، وكُلُّ هَؤُلَاءِ عَاشُوا أَيْتَامًا، فَغَيَّرُوا مَجْرَىٰ التَّارِيخِ بِعَزْمِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

فَهَذَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **نَشَأَ يَتِيمًا**، وَكَانَ يَرْعَىٰ لِقَوْمِهِ الْغَنَمَ، ثُمَّ لَازَمَ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَانَ رَاوِيَةَ الْإِسْلَامِ.

وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي عَدَّهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَلْفِ فَارِسٍ، كَانَ نِتَاجَ تَرْبِيَةِ أُمِّهِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ.

وَإِمَامُ الدُّنْيَا فِي الْفِقْهِ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، **فَقَدَ أَبَاهُ وَهُوَ دُونَ الْعَامَيْنِ**، فَنَشَأَ فِي حَجْرِ أُمِّهِ فِي قِلَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَضِيقٍ مِنَ الْحَالِ، فَحَفِظَ الْقُرْآنَ، وَجَالَسَ فِي صِبَاهُ الْعُلَمَاءَ حَتَّىٰ سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ.

وَكَذَا تِلْمِيذُه الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ، **مَاتَ وَالِدُهُ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**، وَعَاشَ حَيَاةَ فَقْرٍ وَفَاقَةٍ، فَحَضَنَتْهُ أُمُّهُ، وَأَدَّبَتْهُ وَأَحْسَنَتْ تَرْبِيَتَهُ، حَتَّىٰ أَخْرَجَتْ عَالِمًا فَذًّا، وَإِمَامًا وَرِعًا، حَفِظَ اللهُ بِهِ الدِّينَ والْعِبَادَ فِي الْفِتْنَةِ.

وَمَنْ مِنْكُمْ لَا يَعْرِفُ إِمَامَ الدُّنْيَا فِي الْحَدِيثِ والأَثَرِ: الْإِمَامَ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، **صَاحِبَ «الصَّحِيحِ»، كَانَ يَتِيمًا**، وَقَرَأَ عَلَىٰ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ، فَصَنَّفَ كِتَابَهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ أَصَحُّ كِتَابٍ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَكَانَ هَذَا الْيَتِيمُ نِعْمَةً عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَالْعَالِمُ الْفَذُّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، **نَشَأَ يَتِيمًا** عَلَى الْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ فِي حِضْنِ عَمَّتِهِ، فَحَمَلَتْهُ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ، فَصَنَّفَ وَوَعَظَ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ: أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيَّ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا

أَعْلَمُ أحدًا صَنَّفَ فِي الْإِسْلامِ أَكْثَرَ مِنْ تَصَانِيفِهِ. اهـ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ، كَانُوا أَيْتَامًا وَصَارُوا أَعْلَامًا، كَالْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَابْنِ حَجَرٍ، وَالسُّيُوطِيِّ رَحِمَهُمُ اللهُ.

وَخَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَشَدُّ مِنْهُمْ يُتْمًا: خَيْرُ الْبَشَرِ، وَسَيِّدُ الْأَيْتَامِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، تُوُفِّيَ وَالِدُهُ وَأُمُّهُ حَامِلٌ بِهِ، ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ بَعْدَ فَقْدِ أَبِيهِ مَوْتُ أُمِّهِ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ، ثُمَّ تَقَلَّبَ فِي أَحْضَانٍ مُتَوَالِيَةٍ، مِنْ أُمِّهِ إِلَىٰ جَدِّهِ، ثُمَّ إِلَىٰ عَمِّهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾.

عِبَادَ اللهِ: كَفَالَةُ الْيَتِيمِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَىٰ تَوْفِيرِ الْأَكْلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ فَقَط، بَلْ يَتَّسِعُ مَعْنَاهَا لِيَشْمَلَ احْتِضَانَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَالِاهْتِمَامَ بِصِحَّتِهِ، وَإِعْدَادَهُ نَفْسِيًّا وَإِيمَانِيًّا وَتَرْبَوِيًّا لِمُوَاجَهَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْأَخْذَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْفَضِيلَةِ، وَتَقْوِيَةَ رُوحِهِ وَعَقْلِهِ، وَزَرْعَ الْأَمَلِ فِي نَفْسِهِ، ومُعَامَلَتَهُ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَالْحِرْصَ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِهِ وَسُلُوكِهِ تَمَامًا كَمَا يَكُونُ حِرْصُ الْأَبِ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ أَبْنَائِهِ وَسُلُوكِهِمْ.

وَرِعَايَةُ الْيَتِيمِ تَكُونُ بِدِلَالَتِهِ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ، تَكُونُ بِحَفْزِهِ لِلصَّلَاةِ، وَبِحَثِّهِ عَلَىٰ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ فِي حِلَقِ الذِّكْرِ، رِعَايَةُ الْيَتِيمِ تَكُونُ بِحَفْزِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ الدِّرَاسِيِّ.

أَمَّا أَكْبَرُ دَعْمٍ يُقَدَّمُ لِلْيَتِيمِ فَهُوَ وَضْعُهُ عَلَىٰ طَرِيقِ الصُحْبَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ.

يَا أَيُّهَا الْيَتِيمُ: يَا مَنْ ذُقْتَ مَرَارَةَ الْفَقْدِ، وَاشْتَكَيْتَ لَوْعَةَ فُرَاقِ الْأَبِ، يَا مَنْ وَدِدتَّ لَوْ مُتِّعْتَ بِأَبِيكَ، أَقُولُ لَكَ: لَا تَحْزَنْ، فَاللهُ قَدِ ادَّخَرَ لَكَ خَيْرًا وَفِيرًا، وَمَيْدَانُ الْحَيَاةِ أَمَامَكَ، فَأَرِ اللهَ مِنْ نَفْسِكَ خَيْرًا، وَاجْعَلْ نَفْعَكَ يَصِلُ وَالِدَيْكَ فِي قَبْرِهِمَا، وَلْيَكُنْ دُعَاؤُكَ وَعَمَلُكَ نُورًا لَهُمَا فِي قَبْرِهِمَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: رِعَايَةُ الْيَتِيمِ لَيْسَتْ سَهْلَةً وَلَا هَيِّنَةً وَلَا يَسِيرَةً، فَهِيَ سَنَوَاتٌ طَوِيلَةٌ وَشَاقَّةٌ، وَعُمْرٌ مَدِيدٌ مِنَ الْكَفَالَةِ بِالْمَالِ، وَالنَّصِيحَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَبْدُرُ مِنْ ذَلِكَ الْيَتِيمِ. وَمِمَّا جَاءَ بِهِ الدِّينُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: التَّعَرُّضُ لِلْيَتِيمِ بِالْأَذَىٰ مَهْمَا كَانَ نَوْعُهُ، سَوَاءٌ كَانَ ضَرْبًا أَوْ شَتْمًا، أَوْ إِهَانَةً أَوْ إِذْلَالًا أَوْ تَسَلُّطًا، فَلْيَنْتَبِهْ بَعْضُ النَّاسِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْمُحَرَّمِ، وَلْيَحْذَرُوا هَذِهِ الْكَبِيرَةَ الْعَظِيمَةَ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ: التَّفْرِيطُ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ، وَالتَّسَبُّبُ فِي ضَيَاعِهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِعَدَمِ حِفْظِهَا، أَمْ بِعَدَمِ الْمُطَالَبَةِ بِهَا، أَمْ بِأَكْلِ إِرْثِهِمْ وَمَا تُرِكَ لَهُمْ، أَوْ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مُسْتَغِلًّا ضَعْفَهُمْ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ مُحَذِّرًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: عِنْدَمَا يَمُوتُ الْوَالِدُ أَوِ الْوَالِدَةُ فَإِنَّ نَقْصًا حَادًّا يَقَعُ فِي حَيَاةِ الْيَتِيمِ فِي أَمْرٍ غَايَةٍ فِي الْأَهَمِّيَّةِ، أَلَا وَهُوَ الدُّعَاءُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّا نَرَاهُ فِي حَيَاتِنَا مِنَ التَّوْفِيقِ وَالتَّيْسِيرِ وَالنَّجَاحِ يَعُودُ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ وَكَرَمِهِ وَإِنْعَامِهِ إِلَىٰ دُعَاءِ الْوَالِدَيْنِ، وَإِلْحَاحِهِمَا عَلَىٰ اللهِ، والْيَتِيمُ انْقَطَعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ، فَكُنْ شَرِيكًا فِي سَدِّ هَذِهِ الثُّلْمَةِ عَبْرَ دُعَاءِكَ الْمُتَوَاصِلِ لِهَؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ بِأَعْيَانِهِمْ. وَتَذَكَّرُوا أَنَّ مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: «آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ عُنِيَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عِنَايَةً عَظِيمَةً بِحُقُوقِ الْيَتِيمِ الْمَالِيَّةِ، فَشَرَعَت لِلْأَيْتَامِ مَوَارِدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَ مِنهَا إِذَا كَانُوا فِي حَاجَةٍ، وَأَمَرَتْ بِالْإِصْلَاحِ لَهُمْ إِنْ كَانُوا ذَوِي أَمْوَالٍ، وَحَرَّمَتْ الِاعْتِدَاءَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ أَوْ قُرْبَانَهَا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، مِنهَا:

الصَّدَقَةُ عَلَيْهِمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

وَمِنْهَا: جَبْرُ خَوَاطِرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمِيرَاثِ إِنْ لَمْ يَكُونُوا وَارِثِينَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

وَمِنْهَا: إِعْطَاؤُهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْفَيْءِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.